بك ألوذ

« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ...»

اللقاء الحادي عشر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو : **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»**.

هذا الدعاء من أجمع الأدعية في الاستغفار؛ لأنه دعاءٌ بألفاظ التعميم والشمول مع البسط والتفصيل، بذكر كلِّ معنى بصريح لفظه دون الاكتفاء بدلالة اللفظ الآخر عليه، ليأتي هذا الاستغفار على ذنوب العبد كلها؛ المتقدمِ منها والمتأخر ، والظاهرِ والمعلن ، ما علمه العبد من ذنوبه وما لم يعلمه. ومعلوم أنه لو قيل: "اغفر لي كلَّ ما صنعتُ" كان أوجز، ولكن ألفاظ الحديث في مقام الدعاء والتضرع وإظهار العبودية والافتقار واستحضار الأنواع التي يتوب العبد منها تفصيلاً أحسن وأبلغ من الإيجاز والاختصار.

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: في باب الدعاء ينبغي البسط لأربعة أسباب:

- السبب الأول: أن يستحضر الإنسان جميع ما يدعو به بأنواعه.
- السبب الثاني: أن الدعاء مخاطبة لله عز وجل، وكلَّما بسط الإنسان مع الله تعالى في المخاطبة، كان ذلك أشوقَ وأحبَّ إليه ممّا دعا على سبيل الاختصار.

♦السبب الثالث: أنه كلما ازداد دعاء، ازداد قربه إلى الله -ﷻ-.

السبب الرابع: أنه كلما ازداد دعاء، كان فيه إظهار لافتقار الإنسان إلى ربه -ﷻ-.

قال الأوزاعي رحمه الله: «كان يُقال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع» رواه البيهقي.

وهذا الدعاء والاستغفار من النبي ﷺ هو على سبيل الافتقار والعبودية لربه ﷻ، والتعليم لأمته، وأن أحداً من العباد لا يكون في غنى عن ربه وعن عفوه ورحمته ومغفرته، بل حاجة العباد إلى مغفرته ورحمته وعفوه، كحاجتهم إلى حفظه وكلاءته ورزقه؛ فإن لم يحفظهم هلكوا، وإن لم يرزقهم هلكوا، وإن لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا، ولهذا قال أبوهم آدم وأمهم حواء عليهما السلام: {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الأعراف: 23] ، وهذا شأن ولدهما من بعدهما .

قال ابن القيم رحمه الله: «والدعاءَ عبوديةٌ لله وافتقارٌ إليه وتذلُّلٌ بين يديه، فكلَّما كثَّره العبدُ وطوَّله وأعاده وأبداه ونوَّع جُمَلَه كان ذلك أبلغَ في عبوديته وإظهار فقره وتذلُّلِه وحاجته، وكان ذلك أقربَ له من ربِّه وأعظمَ لثوابه، وهذا بخلاف المخلوق، فإنَّك كلَّما كثَّرت سؤاله وكررت حوائجك إليه أبرمته وثقَّلت عليه وهِنتَ عليه، وكلما تركتَ سؤاله كان أعظمَ عنده وأحبَّ إليه، والله سبحانه كلَّما سألتَه كنتَ أقربَ إليه وأحبَّ إليه، وكلَّما أَلْححتَ عليه في الدعاء أحبَّكَ، ومَن لَم يسأل الله يغضب عليه.

فالله يغضب إن تركتَ سؤاله وبُنَيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ ».

ثم إن هذا التعميم في هذه الاستغفار وهذا الشمولُ؛ لتأتي التوبةُ متناولة لجميع ذنوب العبد، ولا ريبَ أنَّ هذا من النصحِ في التوبة المأمورِ به في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}[التحريم:8]، وقد بيَّن ابن القيم رحمه الله أنَّ النصحَ في التوبةِ يتضمَّن ثلاثةَ أشياء :

■الأول: تعميمُ جميعَ الذنوب واستغراقُها بها، بحيث لا تَدَعُ ذنباً إلاَّ تناولتْه.

■والثاني: إجماع العزم والصدق بكليَّته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردُّدٌ ولا تلوُّمٌ ولا انتظارٌ، بل يجمع عليها كلَّ إرادته وعزيمتِه مبادراً بها.

■الثالث: تخليصُها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصِها، ووقوعُها لمحضِ الخوفِ من الله وخشيتِه والرغبة فيما لديه والرهبة ممَّا عنده، لا كمَن يتوب لحِفظ جاهه وحُرمتِه ومنصِبه ورياستِه، ولحفظ حاله، أو لحفظ قوَّته وماله، أو استدعاء حمدِ الناس، أو الهربِ من ذمِّهم، أو لئلاَّ يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسِه وعجزه، ونحوِ ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصِها لله ﷻ.

✍فالأول يتعلَّق بما يتوب منه، والثالث يتعلَّق بمَن يتوب إليه، والأوسطُ يتعلَّق بذات التائبِ ونفسِه. وبهذه الأمورِ الثلاثة يكون العبدُ قد أتى بأكمل ما يكون من التوبةِ، والتوفيق بيد الله وحده.

قوله: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي)؛ الخطيئة: الذنب ، أي ما وقعت فيه من ذنب وتقصير في حقك.

(وَجَهْلِي)؛ أي ما وقع مني من خطيئة بسبب الجهل وهو ضد العلم.

(وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي)؛ الإسراف الإفراط في كل شيء، ومجاوزة الحد فيه، أي: تجاوزي عن حدي (في أمري) أي : في أموري كلها.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) ؛أي: تعلمه ولا أعلمه من المعاصي والسيئات والتقصيرات في الطاعة، ففيه أن عند العبد ذنوبٌ لا يعلمها ولا يذكرها، يعلمها رب العالمين.

قوله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي)؛ الهزل ضد الجِد، وخطأ الإنسان إما أن يكون عن جِدٍّ، أو يكون عن هزلٍ وهو المزاح. أي : ما وقع مني في الحالين.

قوله: (وَخَطَئِي وَعَمْدِي) أي ما وقعت فيه من الذنوب عن خطأ، أي عن غير عمدٍ وقصد، وما وقعت فيه من الذنوب عن عمد، أي عن تقصُّدٍ، أي فاغفر لي ذلك.

(وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي)؛ أي جميع ما ذكر من الذنوب والعيوب عندي ، أي موجود فيّ وأنا متصف بجميع هذه الأشياء فاغفرها لي.

✍وهذا الاعتراف المتنوع بأصـــناف الذنوب؛ الخطأِ، والعمد، والإســـراف، والجهل... إلى آخره، هذا بوابة التوبة وحُسن الإقبال على الله ؛ أن يُقر العبد بشدة تقصيره وتنوع خطاياه، وتفريطه في جنب الله تبارك وتعالى.

قوله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ)؛ أي من الذنوب والأعمال السيئة أو من التقصير في العمل قبل هذا الوقت، (وما أخَّرت) أي: وما يقع مني بعد ذلك على الفرض والتقدير، وعبَّر عنه بالماضي لأن المتوقَّع كالمتحقق.

(وَمَا أَسْرَرْتُ)؛ أي : أخفيت (وَمَا أَعْلَنْتُ) أي : أظهرت.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)؛ يحتمل وجهين: أحدهما ما قد نسيته من الزلل، والثاني ما هو خطأ عندك وأنا لا أعلم أنه خطأ.

(أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ)؛ (أَنْتَ الْمُقَدِّمُ) الأمر بيدك، من شئت قدَّمته ورفعته إلى عالي الدرجات ورفيع الرتب، ومن شـئت أخَّرته، وهذا المعنى هو كقوله -ﷻ-: ﴿وَمَنْ يُضْـلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾[الزمر:36] ؛ وكقوله -ﷻ-: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[فاطر:8] ؛ ومن هداه الله فهو المقدَّم، ومن أضله الله فهو المؤخَّر، والأمر بيده ﷻ.

📂هو الذي يُقَدِّم من يشاء:

- يقدِّم أقوامًا بالإيمان والطاعة.
- يقدِّم بعض عباده في العلم والفضل والمكانة.
- يرفع درجات في الدنيا والآخرة.

فكل رفعةٍ، وكل توفيق، وكل سبقٍ إلى خير، فهو بتقديم الله.

ثانيًا: معنى المؤَخِّر

📂هو الذي يُؤَخِّر من يشاء بحكمته:

⭘يؤخِّر أقوامًا بسبب ذنوبهم أو تقصيرهم.

⭘يؤخِّر العقوبة رحمةً أو استدراجًا.

☜فكل تأخيرٍ في حياتك ليس عشوائيًا، بل هو بتدبيرٍ إلهيٍّ محكم.

✍وقد أُتي بهذين الاسمين هنا في هذا المقام توسلا إلى الله ﷻ بهما؛ ليقيل العبد من عثراته التي تُؤخره، وطلبًا للرفعة بفعل الطاعات والعبادات والبعد عن الذنوب التي يحصل بها تقدمه، وهذا كله بيد الله تبارك وتعالى.

قوله: (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ أي : فما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله في أبياتٍ له :

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

خَلقْتَ العِبَادَ على مَا عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالْمُسِنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذَا خَذلْتَ، ... وَذَاكَ أَعَنْتَ، وَذَا لَمْ تُعِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَنْ

✍الحاصل: أن هذه الدعوة العظيمة المباركة التي هي في مقام الاستغفار فيها تنبيه للمسلم أن مقام الاستغفار من الذنوب يحتاج من العبد أن يلحظ أنواع الذنوب التي عنده؛ السر والعلن، الخطأ والعمد، الإسراف.. إلى آخر ذلك، يلحظ أنواع الذنوب التي عنده، ويتوجه إلى الله ﷻ هذا التوجه العظيم المبارك، يسأله –ﷻ– أن يغفر له هذه الذنوب كلها.

✍ولهذا يحسن العناية والتدبر واستحضار المعاني عند الدعاء بها؛ لأن ذلك يورث أثراً عظيماً طيباً في النفس، ويورث الخشوع، والخضوع، والتذلّل بين يدي الله تعالى، وهذا من كمال العبودية لله رب العالمين.

✍والمعنى: يا الله اغفر لي ذنوبي كلَّها: صغيرها وكبيرها، ما صدر عنِّي من جهل نفسي، ومجاوزتي للحدِّ في كلِّ شـــيء، اللَّهم اغفري ذنوبي كلَّها مما علمتها، ومما لم أعلمها، في حال جدّي، وهزلي، وفي حال خطئي وتعمّدي، فأنا متّصفٌ بكلّ هذه الذنوب ومُقِرٌّ بها.

✍وقد أمر الله نبيه ﷺ بالاســتغفار في آيٍ عديدة؛ قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[محمد:19]، وقال تعالى:{ فَاصْـبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْـتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَـبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِـيِّ وَالْإِبْكَارِ}[غافر:55]، وقال تعالى: {فَسَـبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[النصر:3].

📜قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن العباد لابد لهم من الاستغفار أولهم وآخرهم، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)، وقال-ﷺ- : (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) ، وكان يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْـرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي وَهَزْلِي وَجِدِّي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْـرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ)، وقد ذكر عن آدم أبي البشـــر أنه اســتغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه ، وعن إبليس أبي الجن أنه أصـــرَّ متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه؛ فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه فما ظلم».

📜وقال ابن القيم رحمه الله : «وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ الْعَبْدَ فَقِيرٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَبِكُلِّ اعْتِبَارٍ، فَهُوَ فَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ رُبُوبِيَّتِهِ لَهُ، وَإِحْسَـــانِهِ إِلَيْهِ، وَقِيَامِهِ بِمَصَـــالِحِهِ، وَتَدْبِيرِهِ لَهُ، وَفَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ إِلَهِيَّتِهِ، وَكَوْنِهِ مَعْبُودَهُ وَإِلَهَهُ وَمَحْبُوبَهُ الْأَعْظَمَ الَّذِي لَا صَلَاحَ لَهُ وَلَا فَلَاحَ وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُرُورَ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، فَيَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَمِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَفَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ مُعَافَاتِهِ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُعَافِهِ مِنْهَا هَلَكَ بِبَعْضِـهَا، وَفَقِيرٌ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ عَفْوِهِ عَنْهُ وَمَغْفِرَتِهِ

لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَعْفُ عَنِ الْعَبْدِ وَيَغْفِرْ لَهُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى نَجَاتِهِ، فَمَا نَجَا أَحَدٌ إِلَّا بِعَفْوِ اللَّهِ، وَلَا دَخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ».

وأسأل الله ﷻ أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الشيخ عبد الرزاق المحسن البدر: فقه الأذكار والأدعية بتصرف يسير